**بلاغة القرآن في التقديم والتأخير**

**بلاغة القرآن في الألفاظ وترتيبها**

**بلاغة القرآن في الأخبار**

**بلاغة القرآن في بيان الأحكام**

**إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.**

**أما بعد:**

**فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.**

بلاغة القرآن في التقديم والتأخير

**عباد الله:**

**إن أصدق الحديث كتاب الله، فيه خبر من قبلكم، ونبأ من بعدكم وحكم ما بينكم، بركة وهدى، أنزله الله -سبحانه وتعالى- رحمة للعالمين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، وهذا الكتاب بلسان عربي مبين، هذا القرآن الذي أنزله الله -سبحانه وتعالى- عجب، عجب في بلاغته، عجب في بيانه، عجب في أخباره، وعجب في قصصه، وعجب في أحكامه، ترى فيه هذه البلاغة، وهذا البيان، في صياغته، في تقديمه، في تأخيره، في كلماته**

هذا القرآن الذي أنزله الله -سبحانه وتعالى- عجب، عجب في بلاغته، عجب في بيانه، عجب في أخباره، وعجب في قصصه، وعجب في أحكامه، ترى فيه هذه البلاغة، وهذا البيان، في صياغته، في تقديمه، في تأخيره، في كلماته.

**، تقرأ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ سورة الفاتحة 5. وأصل الجملة في اللغة تقديم الفعل على الفاعل والمفعول نعبدك، فلماذا قدم المفعول إياك وأخر الفعل نعبد؟ إِيَّاكَ نَعْبُدُ فيها دلالة على الحصر بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ سورة الزمر 66. إِيَّاكَ نَعْبُدُ يعني: لا نعبد غيرك، بخلاف لو قلت: نعبدك، ولمّا جاء إلى قوله: اهدنا، لم يقل إيانا اهدِ، بل قال: اهدنا، فقدم الفعل لماذا؟ لأن الهداية ليست محصورة فينا، بل يهدينا ويهدي غيرنا، لكن العبادة محصورة له، فلا يُعبد غيره، فقال: إِيَّاكَ نَعْبُدُ ولم يقل نعبدك وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ولم يقل نستعينك، وفي الهداية قال اهدنا، لما ذكر بلاغة القرآن وتحدي من يأتي بمثله، قدم الإنس على الجن، فقال: قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا سورة الإسراء 88. وفي آية أخرى يقدم الجن على الإنس يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ سورة الرحمن 33. فلماذا قدم الإنس هناك وقدم الجن هنا؟ في معرض البلاغة والبيان، والتحدي بالإتيان بمثل القرآن قدم الإنس؛ لأن الإنس في باب البيان والبلاغة أقدر من الجن، فقال: قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ تحداهم أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا، تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فلم يستطيعوا، تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يستطيعوا، فنادى عليهم بالعجز إلى قيام الساعة قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا سورة الإسراء 88. بينما في معرض الطيران والاختراق والنفاذ الجن أقوى وأقدر؛ ولذلك بدأ بهم في التحدي، فقال: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وهذا يوم القيامة عندما تحيط الملائكة بالجن والإنس في أرض المحشر فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ وليس هناك إلا سلطان الله مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ \* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ سورة الحاقة 28-29.**

بلاغة القرآن في الألفاظ وترتيبها

عندما مر إمام من أئمة اللغة ببادية سمع فتاة أعرابية تقول كلاماً مختصراً بليغاً، فأثنى على بلاغتها، قالت: ليس بعد بلاغة القرآن بلاغة، فإنه ذكر في آية واحدة أمرين، ونهيين، وبشارتين: وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

مر إمام من أئمة اللغة ببادية فسمع فتاة أعرابية تقول كلاماً مختصراً بليغاً، فأثنى على بلاغتها، قالت: ليس بعد بلاغة القرآن بلاغة، فإنه ذكر في آية واحدة أمرين، ونهيين، وبشارتين: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}.

**سورة القصص 7. فأما الأمران: أرضعيه وألقيه، وأما النهيان: لا تخافي ولا تحزني، وأما البشارتان: إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين، عندما تختصر الأحداث الكثيرة، بكلمات قليلة، في جمل قصيرة، تشعر يا عبد الله وأنت تسمع هذا الكلام بغاية البيان، عندما يلخص لك ماذا حصل في قصة قوم نوح في نهايتها وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ بعد ما عم الطوفان الأرض وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ سورة هود 44. فيها نداء، وفيها أمر، وفيها دعاء، يا أرض يا سماء نداء، وعندما ختمها ختمها بالدعاء وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وتعسا لهم، وتبا لهم، عندما تتأمل في آية في خبر نملة: حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ ماذا قالت النملة؟ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ سورة النمل 18. يا نادت، أيها نبهت، النمل عمت، ادخلوا أمرت، مساكنكم عينت، لا يحطمنكم حذرت، سليمان وجنوده سمت، وهم لا يشعرون أعذرت، وبينت عذر نبي الله وجنوده، لو فعل فإنه بغير قصد، بلاغة، في ترتيب الكلمات: وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ماذا أوحى؟ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ سورة النحل 68. ماذا تلاحظ يا عبد الله؟ التدرج، الترتيب؛ لأن النحل الجبلي، غير النحل الشجري، غير النحل الذي يكون على ما يعرشونه لها، يعني: بنو آدم ما يعدونه ويهيئونه من بيوتها، لكن في تدرج، في ترتيب، الجبل، ثم الشجر، ثم ما يبنونه في السهل أسفل، وترى يا عبد الله في بلاغة القرآن من بين فرث ودم، مقزز لا يمكن أن يشربه الإنسان، لا يمكن أن يشربه، ماذا يخرج من بينهما؟ الإعجاز مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا من كل شائبة سَآئِغًا بطعمه الهنيء لِلشَّارِبِينَ سورة النحل 66. فترى إعجاز الله في خلقه، وترى كيف يخبرك عن نعمته، لكن هذا الإيجاد عجب، من بين فرث ودم يخرج اللبن، الخالص، السائغ للشاربين، عندما تسمع قول الله -سبحانه وتعالى- فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا سورة العنكبوت 14. انظر إلى دقة الألفاظ في اختيارها، نوح عليه السلام لبث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاما، لم يقل ألف سنة إلا خمسين، ولا ألف سنة إلا خمسين سنة، ولا ألف عام إلا خمسين عاما، ألف سنة إلا خمسين عاما، كأن طبيعة التسعمائة وخمسين غير طبيعة الخمسين، السنة في اللغة: تطلق على القحط، وعلى الشدة، فإن الله أخذ آل فرعون بالسنين والقحط، لكن العام يطلق على الخير والخصب، كما قال: ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ سورة يوسف 49. وهكذا كانت النتيجة في تلك التسعمائة وخمسين غير النتيجة في الخمسين، كما قيل إن نوحا عليه السلام عاش بعدها.**

**عباد الله:**

**إن هذه الألفاظ في تواليها على اختصارها، تعطي معاني كبيرة جداً، وتعبر عن حقائق، وترسخ أموراً في النفس لمن ألقى السمع وكان له قلب وهو شهيد، في معرض التنفير من الفاحشة، ماذا قال من كلام أولئك النسوة: امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا سورة يوسف 30. أربع كلمات، لكن ماذا تحوي من المعاني امْرَأَةُ الزنى قبيح من الجنسين ولكنه من المرأة أقبح؛ لأن حياءها أشد امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الزنى من المتزوجة والعزباء قبيح، لكنه من المتزوجة أشد؛ فإن الله أغناها وأعفها بالزوج امْرَأَةُ الْعَزِيزِ متزوجة الْعَزِيزِ لها مكانة اجتماعية، والزنى من ذات المكانة العالية وذات المكانة الدنيا قبيح، ولكنه من ذات المكانة العالية أشد؛ لأن من المفترض أنها تخشى على سمعتها ومكانتها تُرَاوِدُ قبيح عرض الزنى من الجنسين، سواء عرضه الرجل أو عرضته المرأة، ولكن قبحه في عرضه من المرأة أشد؛ لأن حياءها أشد، فكيف تعرض، والعادة أن الرجل طالب والمرأة مطلوبة، فإذا انعكست القضية صار الشأن أقبح، تراود هي التي تطلب، والزنى قبيح سواء كان مع من هو في مثل قدرها ومستواها الاجتماعي، أو مع من هو دونها، لكن عندما تطلب وهي في تلك المكانة من عبدها وخادمها، هذا أقبح تُرَاوِدُ فَتَاهَا فانظر إلى التنفير من الفاحشة، يا عبد الله! ألا يلفت نظرك قول الله تعالى: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا سورة المائدة 38. فقدم الذكر على الأنثى، وفي قوله تعالى: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ سورة النــور 2. فلماذا قدم الأنثى على الذكر؟ الرجل أقدر على كسب الرزق من الأنثى، ففي معرض السرقة، السرقة من الذكر أقبح؛ لأنها مستضعفة لا تقدر أن تكسب رزقها مثله، ولذلك صار هو في باب السرقة أسوأ، فقدمه، قال: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا وفي معرض الزنى في مسألة الحياء المتقدمة من المرأة أقبح، قال: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ.**

**بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والمواعظ والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.**

**الخطبة الثانية:**

**الحمد لله، أشهد ألا إله إلا هو وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، دعا إلى الله ولم يشرك به أحدا، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، والشافع المشفع يوم الدين، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، والشافع المشفع يوم يقوم الشهود، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى ذريته الطيبين، وآله وأزواجه وأصحابه وخلفائه الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.**

**عباد الله:**

بلاغة القرآن في الأخبار

**لا ينقضي العجب وأنت تتأمل آيات الكتاب العزيز فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا سورة الكهف 97. فزادت التاء هنا، والزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، فأيهما أشد العلو عليه أم خرقه؟ خرقه ونقضه أشد؛ لأنه مصنوع من تلك السبيكة العجيبة التي لا يوجد لها مثيل، حديد ملبس بالنحاس آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ سورة الكهف 96. فلما تم صهرها بالنار، وصارت قطعة واحدة، أمر بأن يفرغ عليها النحاس المذاب آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا \* فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا سورة الكهف 96-97. وعندما تتأمل في العجب العجاب في الأخبار، في قصة يوسف ثلاثة قمصان، القميص الأول: دليل على كذبهم، والقميص الثاني: دليل على كذبها، والقميص الثالث: جاء معه الفرج، القميص الأول: وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ** سورة يوسف 18**. ما هذا الذئب الذي يخلع قميص الولد، ثم يفترسه، وليس في القميص أثر لنهش ولا تمزيق، وجاؤوا على قميصه بدم كذب، القميص الثاني: كان ممزقا بالفعل، ولكن تمزيقه كان دليلاً على براءة يوسف الصديق، وكذب تلك المرأة التي كانت تعدو خلفه تريد الفاحشة، وهو يعدو أمامها يهرب من الفاحشة وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ سورة يوسف 25. وقال ذلك الشاهد: وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ سورة يوسف27. وهكذا كان، ليأت القميص الثالث بعد سنين، كما جاء القميص الثاني بعد سنين، ويكون فيه الفرج ورائحة الولد، والأب الشفيق يعرف رائحة ولده، وقد كان عليه الصلاة والسلام يشم الصبيان ويقبلهم، أولاده وأحفاده.**

بلاغة القرآن في بيان الأحكام

**عباد الله:**

**هذا القرآن عجيب في ألفاظه حتى في بيان الأحكام، فعندما يقول في حكم إتيان الحائض متى يصح ومتى يجوز، لا تقربوا النساء في المحيض، هو أذى، أذى نفسي وأذى بدني ومن جميع الأنواع، نكرة في سياق النهي تفيد العموم وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ سورة البقرة 222. ما هو الفرق بين يطهرن وتطهرن يتطهرن؟ يطهرن من الفعل الثلاثي طهر، يتطهرن من الفعل الخماسي تطهر، أيهما يدل على معاناة، نوع من الكلفة والمشقة والجهد، تطهرن، أما يطهرن شيء يحدث بطبيعة الحال، ومن الجبلة والخلقة بدون أي فعل منها، ما هو؟ انقطاع الدم، تطهرن فيه بذل جهد تطهر غير طهر ما هو؟ الغسل منها، فلا يجوز إتيانها إلا بعد حصول أمرين لا يكفي أحدهما، يطهرن انقطاع الدم، فإذا تطهرن اغتسلت، فإذا حصل الأمران جاز الإتيان.**

**هذا القرآن عجيب يا عباد الله في أخباره يخبر عن مغيبات وتحصل: الم \* غُلِبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بِضْعِ سِنِينَ سورة الروم 1-4. ما مضت تسع سنين إلا ورد الروم للفرس الصاع صاعين، بعد ما كانت الفرس قد هزمت الروم وألحقوهم بعمق ديارهم فِي أَدْنَى الْأَرْضِ واستلوا على أكثر بلادهم فِي بِضْعِ سِنِينَ وأتى الخبر في القرآن وحصل، وكم من خبر في القرآن حصل، وكم من خبر سيحصل، كخروج يأجوج ومأجوج.**

**يا عباد الله! لما يعبر عن السفن في البحر بالجبال في شكلها وهيئتها، وأنتم في هذه المدينة الساحلية لو وقفتم على الساحل، ورأيتم السفن وهي قادمة إلى الميناء، موقرة محملة بالبضائع ضخمة كبيرة، كيف ترى شكلها يا عبد الله من بعيد وهي قادمة؟ كالجبل وَمِنْ آيَاتِهِ هذه السفن الْجَوَارِ التي تجري فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ سورة الشورى 32. كالجبال، فانظر إلى دقة وصفه وأنت ترى منظرها من الشاطئ.**

**اللهم اجعلنا من أهل القرآن العظيم يا رب العالمين، اللهم اجعلنا من أهلك أهل القرآن، اللهم اجعلنا ممن أحل حلاله، وحرم حرامه، وعمل به وآمن بمتشابهه، اللهم ارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، اللهم اجعلنا له تالين وله متدبرين وبه عاملين، اللهم اجعلنا بحبلك مستمسكين، يا أرحم الراحمين، اغفر لنا أجمعين، وأخرجنا من ذنوبنا كيوم ولدتنا أمهاتنا، اجعل الجنة مثوانا، وارزقنا الفردوس الأعلى، وأعذنا من النار، وأعتق رقابنا منها، إن عذابها كان غراما، ربنا لا تفرق هذا الجمع إلا بذنب مغفور، وعمل مبرور، وسعي متقبل مشكور، يا رحيم يا ودود يا غفور، اللهم إن لنا إخوانا في الأرض قد نزل بهم من البلاء ما لا يعلمه إلا أنت فاكشف ما نزل بهم من ضر يا رب العالمين، اللهم أطعم جائعهم، واكسُ عاريهم، وآوِ شريدهم، واشفِ مريضهم، وابرئ جريحهم، وارحم ميتهم، واجمع على الحق كلمتهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم يا رب العالمين، أنت على كل شيء قدير، اللهم عظم البلاء وليس لها من دونك كاشفة فاكشف الضر يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين، اللهم ارزقنا في بلادنا الأمن والإيمان، وسائر بلاد المسلمين يا رحمن، آمنا في الأوطان الدور وأصلح الأئمة وولاة الأمور، واجعل بلادنا هذا آمنا مطمئنا وسائر بلاد المسلمين.**

**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.**